

التعددية والتنوع الإنساني.. مبدأ للحياة



«يُعد التنوع والتعددية مظهر من مظاهر الكون والطبيعة يحس به ويدركه جميع بني البشر، والإنسان بحد ذاته واحد من مصاديق التنوع، والتعددية ليست فكرة طارئة جديدة دخلت علينا منذ وقت قريب أو أنها مبدأ عارض أوجده الإنسان لكي يكيف بها نفسه التواقة الى التميز بل هو مبدأ إلهي وسنة أزلية، قد فطر الله عليها جميع المخلوقات.. فلم ولن يكون الناس نمطاً واحداً أو قالباً فرداً، وإنما كانوا ولا يزالون مختلفين، تطبيقاً لقوله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ نَسَآ خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات:13).

وهكذا كان مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول الكريم محمد (ص) مكون من قسمين أو من حزبين أو فرقتين هما الأنصار والمهاجرون، لا عن اختلاف في عقيدة أو قول أو فعل، بل هو جزء من مصاديق التنوع الإنساني.

1- التعددية الدينية: وهي التعددية التي تختص بالتعدد في الدين والعقائد والشرائع والمناهج المتصلة به، ومفهومها يعني الاعتراف بوجود تنوع في الانتماء الديني في مجتمع واحد أو دولة تضم مجتمعاً أو أكثر مع احترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من اختلاف أو خلاف في العقائد، وإيجاد صيغ ملائمة للتعبير عن ذلك في إطار مناسب وبالحنى بشكل يحول دون نشوب صراع ديني يهدد سلامة المجتمع.

كما وان مفهوم التعددية الدينية هذا يتضمن الإقرار بمبدأ أن أحداً لا يستطيع نفي أحد، وبمبدأ المساواة في ظل سيادة القانون، وهو يلتزم بمبدأ حرية التفكير والتنظيم واعتماد الحوار واجتناب الإكراه.

2- التعددية المذهبية: هي التعدد المذهبي في إطار الدين الواحد ، ومفهومها يعني بوجود تنوع في الانتماء المذهبي في مجتمع واحد أو دولة تضم مجتمعاً أو أكثر واحترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من اختلاف أو خلاف في الفروع أو غيرها إضافة الى إيجاد صيغ ملائمة للتعبير عن ذلك في إطار مناسب وبشكل يحول دون نشوب صراعات مذهبية تهدد سلامة المجتمع.

ويجب التأكيد هنا على أن تعدد الفرق والمذاهب داخل الدين الإسلامي يشكل ظاهرة طبيعية بل هي سمة ثابتة في جميع الأديان السماوية والوضعية وهي بذلك ظاهرة طبيعية لازمة في جميع الأديان والعقائد، ومن الطبيعي جداً عندما يكون هناك تعدد في المذاهب يكون هناك تعدد في الفكر والتصورات والرؤى.

3- التعددية السياسية: التعددية السياسية وهي عبارة عن المشروعية لتعدد القوى والآراء السياسية وحققها في التعايش وفي التعبير عن نفسها وفي المشاركة في التأثير على القرار السياسي في مجتمعاتها وضمان وحماية مصالحها، وهي بذلك تعني الاعتراف بوجود تنوع في مجتمع ما بفعل وجود عدة دوائر انتماء فيه ضمن هويته الواحدة، واحترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من خلاف أو اختلاف في العقائد والمصالح وأنماط الحياة والاهتمامات، ومن ثم الأولويات، وبالتالي فان اشتراك جميع فئات المجتمع في هذا الإطار بآرائهم هو ما يصطلح على تسميته ليوم بالمشاركة السياسية.

أما عن أهم الأمور التي من خلالها نستطيع أن نصل بالمجتمع الإسلامي إلى التعددية والتي من شأنها أن تكون مصاديقاً للشعوب التي تؤمن بالتعددية في عملها نوجزها على النحو التالي:

1- الشورى: إن الرسول (ص) وأهل بيته بعده كانوا يستشيرون عامة الناس في الأمور المتعلقة بهم، كما كانوا يستشيرون عامة الناس في الأمور المتعلقة بهم، كما كانوا يستشيرون أهل الرأي والخبرة في بعض المسائل الخاصة، كما كانوا يستشيرون كبار القوم الذين يمثلون جماعاتهم في أمور أخرى فما توافقوا عليه اخذوا به وما اختلفوا عليه انتهوا عنه.

2- حسن الخلق: إن على الجماعة التي تريد الانضمام تحت لواء التعددية أن يتصف أفرادها بحسن الخلق، وأن يكونوا هينين لينين، يألفون ويؤلفون، قال ابن سبويه مخاطباً الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)، (القلم:23).

3- الرفق ونبذ العنف: من أهم مقومات جمع الكلمة الرفق واجتناب الخُرق وقد تضمنت السنة النبوية الشريف وما ورد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام العديد من النصوص الواردة في هذا المجال نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قول للرسول محمد (ص) عن الإمام أمير المؤمنين (ع) قال رسول الله (ص) في حديث: (والرفق نصف العيش).

4- التواضع: فجمع الكلمة يحتاج الى التواضع فإذا كان الإنسان متواضعاً في مجلسه ومأكله ومشربه وزيارته وردة للزيارة وداره ودابته وغير ذلك، التف الناس حوله، وإلا فالناس لا يلتفون حول المتكبرين.

5- التنافس: من المهم جداً أن يأخذ الناهضون الذين يريدون توحيد صف المسلمين ولم شملهم، بمبدأ التنافس في الأعمال، لأن التنافس يخلق في الإنسان روحاً غريبةً تطلب التقدم، فقد جعل الله سبحانه وتعالى الجنات هدفاً للتنافس، حيث قال سبحانه: (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) وفي حالة تعدد الأحزاب يتجلى التنافس كما هو واضح.►